الكويت بين الماضى والحاضر

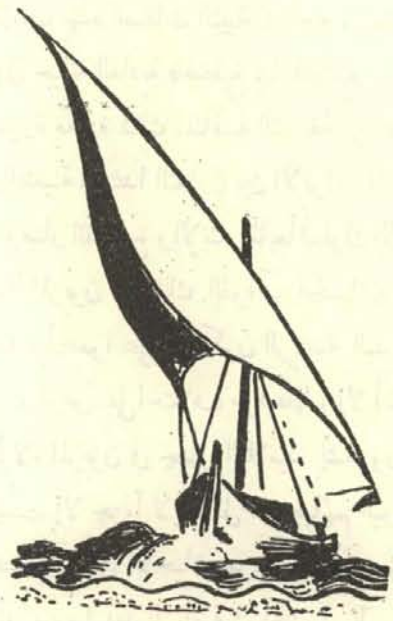

لم يمر على تأسيس الكويت أكثر من قرنين ونصف ومع ذلك فقد أصبحت أكبر مدينة فى شبه جزيرة العرب إذ يبلغ عدد سكانها مائة وعشرين ألف نسمة فى حين أن مكة لا يتجاوز سكانها مائة ألف نسمة ، ومن الغريب أن مدينة الكويت اتسعت ونمت بالرغم من أن ظروف البيئة الجغرافية الطبيعية منافية لهذا الاتساع . فخصوبة الأرض التى كانت السبب فى نمو كثير من المدن لا وجود لها لعدم توفر المياه الصالحة للزراعة ، والأقطار الآهلة بالسكان مفصولة عنها مسافات شاسعة من البيداء.

ويعود الفضل الأكبر فى إنشاء مدينة الكويت إلى البحر (الخليج الفارسى) الحافل بحقول اللؤلؤ ، فقد أسست الكويت منذ قرنين ونصف لأغراض تنحصر فى إيواء عدد قليل من صيادى الأسماك وأرباب سفن الغوص الصغيرة ، ثم ازدهرت بسرعة بعد ذلك نتيجة لغلو أثمان اللؤلؤ وكثرة المستخرج منه وأقبل الناس على استنباطها من الحواضر والبوادى وكان رواج اللؤلؤ ووفرة المنتوج منه مغريا بسكناها

وقد ازدهرت تلك الثروة المائية خلال الربع الأول من هذا القرن وبلغت أوجها فيه ، وقد قدر منتوج الخليج الفارسى من اللآلئ بما قيمته أربعة ملايين جنيه فى العام دون أى هبوط فى ذلك حتى عام ١٩٢٨ م . وفى ذلك الحين كان جل تجارة مدن الخليج الفارسى منحصرة فى اللؤلؤ ومتفرعاته غير أن الأزمة العالمية التى تلت الحرب العظمى الأولى غيرت كثيرا من القيم والنظريات ، وكان اللؤلؤ فى طليعة المواد التى أصابتها تلك الأزمة فانحطت أثمانها وبدأت مدن الخليج التى تعتمد فى حياتها على اللؤلؤ تتقهقر ويتداعى كيانها بسرعة فضعفت بلدة لنجة وقطر وأبى ظبى والجبيل ولم يبق إلا المدن التى تعتمد على الزراعة كالبحرين وكان من المنتظر أن تسبق الكويت زميلاتها فى التراجع إلى الوراء ، ولكنها بعكس ذلك تقدمت خطوات واسعة إلى الأمام حتى أصبحت سيدة مدن الخليج اقتصاديا وذلك فى نظرى يعود إلى سببين

الأول : أن سكان الكويت من الرجال النشطين المغامرين ، وهم بالنسبة إلى سكان جزيرة العرب أشبه ما يكونون بالمهاجرين إلى أمريكا من الأوربيين . فلما تدهورت تجارة اللؤلؤ سرعان ما كيف الكويتيون أسلوب حياتهم بحيث يستفيدون اقتصاديا من موقعهم الجغرافى ، وكان نشاطهم يمدهم بالعون إلى تحقيق النجاح فى هذا الاتجاه الجديد الذى فرضته الظروف وعوامل الحياة الطارئة عليهم . فموقع الكويت ذو أهمية جغرافية بالنسبة لتوسطه بين نجد والعراق وإيران ، ولكن الاستفادة من هذا الوضع تحتاج إلى نشاط خارق للعادة وذكاء متقد ومغامرة مقتحمة ، وقد شرع الكويتيون فى الاستعاضة عن سفن الغوص الشراعية الصغيرة بسفن النقل الشراعية الكبيرة ، وحولوا متاجر اللؤلؤ إلى مستودعات للبضائع ، فسارت سفنهم تمخر بحار الشرق غير مبالية بالأهوال لنقل البضائع بين أقطاره

وقد مونت هذه السفن العرب فى هذه الحرب بالمواد الغذائية ، غير مبالية بالأخطار التى تتعرض لها ، وكان من نتائج ذلك أن ذهب من الضحايا عدة سفن ومئات من الملاحين الكويتيين نتيجة الإصابة بطرابيد وألغام

يقظـــة وأمل

كانت الكويت قبل سنوات مضت متخلفة عن شقيقاتها البلاد العربية فى كثير من شؤون الحياة . فالتجارة وهى العامل الأساسى الذى تتوقف عليه حياة الكويت كانت

الأعداء ، ويسهم الكويتيون بنصيب ضخم فى حركة الاستيراد والتصدير إلى العراق والخليج الفارسى من الهند وعدن وشرقى أفريقيا . ويمثل كثير من تجـــارهم مكانة تجارية مرموقة فى هذه البلاد . وبالأخص فى العراق حيث يمثل التجار الكويتيون موضع الصدارة فى لواء البصرة

أما السبب الثانى فى ازدهار الكويت فهو يرجع إلى حكامها الذين كانوا فى البداية من جملة المهاجرين إليها ثم ساعدتهم كفايتهم على السيادة فيهـا ولم يسجل تاريخ الكويت أى أثر يدل على أن حكامها خذلوا مواطنيهم فى موقف من المواقف . وكانوا من أوائل من استشهدوا فى سبيل الذود عن حرية الوطن والدفاع عن البلاد

وقد تنبه الآن الكويتيون حكومة وشعبا فأنشـأوا الإدارات المختلفة ونظموها تنظيما حسنا مما أثر تأثيراً محسوسا فى حياة الكويت وكان الكويتيون يستفيدون دائما استفادة عظيمة من الأوضاع الشاذة لمصلحتهم

وكانت آخر نقطة وجه إليها الكويتيون عنايتهم هى ترقية التعليم بحيث صارت بعثات الكويت فى الخارج أكبر البعثات العربية بالنسبة لعدد سكان الكويت ، ولا أدل على تشجيع الأسرة الحاكمة فى الكويت للشئون الثقافية من تلك الكلمة التى توج فيها رئيس المعارف وهو أحد أفراد الأسرة الحاكمة ــ أحد أعداد نشرتنا المحبوبة « البعثة »

إننا نحب أن يفهم أبناؤنا فى مصر أن من الواجب علينا أن نحفظ ميزة التناسب بيننا وبين أجدادنا، ولا شك أن هذا الفهم سيحملنا كثيرا من المسئوليات التى تستنفذ الكثير من قوانا ، ولكنها فى النهاية تجعلنا نتبوأ المكانة التى نستحقها ، وليس هناك أحسن من العمل العظيم المتواضع الذى يرفعه الله إلى المرتبة العالية . .

عدن **يوسف ابراهيم العدسانى**

على أضعف ما تكون من حيث الركود بسبب الأساليب القديمة التى كانت تقوم عليها . وكانت الناحية العمرانية وهى وثيقة الصلة بالناحية الاقتصادية تكاد تكون حركتها مشلولة . وإذا نظرنا الناحية المهمة التى تعتبر السبب فى كل حركة إنشائية أو تقدمية وهى الناحية العلمية التى كانت ضعيفة فى ذلك الحين لما كان يعانيه الشعب الكويتى من التيارات الرجعية والخرافات التى جعلته يهيم فى بيداء الحيرة المظلمة يتلمس خلالها طريق نجاته الأمر الذى جعل بينه وبين حياة العلم الصحيح سداً منيعاً وقد كان الشعب إذ ذاك غارقا فى خضم من الماديات ركز نحوها تفكيره فلم يقم أى وزن للنواحى الروحية التى يحتاج اليها الانسان احتياجه الى أكله وشرابه إذ فيها تغذية وتوسيع آفاق فكره أما التعليم الذى كان معروفا فى ذلك الحين فهو تعليم الكتاتيب الذى لا يتعدى القراءة والكتابة ، والذى يقوم على طرق عتيقة ونظم لا يمكن الاستفادة منها على الوجه الصحيح . أما التعليم الذى يولد فى نفس التلميذ الدقة والنظام فى أعماله ويوسع ملكة التفكير والاستنباط فى عقله ويجعله ملماً بنماذج مختلفة من العلوم والفنون : هذا النوع فى التعليم الذى يناسب روح العصر الذى نحن فيه لم يكن معروفا إذ ذاك بل كان عند بعضهم المثل السيء للتعليم الذى لا يجدى ولا يفيد .

هكذا كانت حياة الكويت قبل نهضتها الحديثة ، أما اليوم فقد تغيرت الحال غير الحال وبدت تباشير نهضتها المباركة وأخذت تسير فى طريق تقدمها نحو الكمال ونشطت التجارة وقويت الروابط بين الكويت وشقيقاتها الأقطار العربية وانتشرت المؤسسات والمعاهد العلمية الحديثة فى طول البلاد وعرضها وارتفع مستوى التعليم والثقافة عند الأهلين بفضل المجهودات التى يبذلها مجلس معارف الكويت لتدعيم أركان العلم فى كويتنا الغالية وبفضل المساعى المشكورة المتواصلة التى تقوم بها البعثة العلمية المصرية لكى تبلغ الكويت المكان اللائق بها فى هذا المضمار الحيوى بالنسبة لكل أمة تريد لنفسها حياة البقـاء والخلود فى ظل العلم والعرفان .

الكويت ــ **عبد العزيز غربلى**

علم النفس بين الشرق والغرب

كثيراً ما يقف الإنسان للمقارنة بين الماضى والحاضر فيرى أشياء يظنها الناس من بنات اليوم ومبتكرات المحدثين ، ولكنها فى الحقيقة تمت بعرق إلى الماضى البعيد أو هى كلها من مخلفات ذلك الماضى ، ولكن سطا عليها من تناولها بتغيير ظاهرها ، أو تبديل شكلها ، ثم عرضها على الناس وقدمها إليهم موهما إياهم أنها وليدة العبقرية والنبوغ اللذين من الله بهما عليه من بين سائر العالمين .

هذا «علم النفس» يتبجح أكثر علماء الغرب أنه من بنات أفكارهم ، ومن ثمرات مدنيتهم الحديثة ، وأنهم هم الذين اخترعوه ، وابتدعوه ودانوا الناس بإجرائهم لتجاربه ، وتوضيحهم لمذاهبه ، وتقعيدهم لقواعده ، مع أنك لو تناولت أكثر مسائل هذا العلم وقلت لها ارجعى إلى مصادرك الأولى ومنابعك القديمة من تراث الإسلام وآثار الشرقيين لما بقى بين يديك منها إلا القليل ، وكل ما فى الأمر أن الغربيين المحدثين قوم يجيدون التبويب والترتيب والتهذيب والجمع والتنظيم !

إليك مثالا من الأمثلة . يتحدثون عن « التخيل والأحلام » فيقولون إن التخيل تصور صورة ذهنية مركبة من جزئيات مشاهدة أو واقعة ، مع التغيير والتبديل ، ويتمثل فى الكشف والاختراع ، ولا بد من أن يكون التخيل مبنيا على أساس واقع أو محسوس ، لأن الكشف ما هو إلا إظهار لحقائق موجودة وإن كانت قبل كشفها مجهولة ، والاختراع مزج بين قديم وجديد ، أو هو تنسيق وتنظيم . .

وأحلام اليقظة المبنية على التخيل يسببها الحرمان من نعم وآلاء يراها المحروم فى أيدى غيره من الناس يتمتعون بها دونه ، فيود لو أن له منها مثل ما لهم أو أكثر مما لهم أو تسببها بقية من نشاط ، وفضلة من طاقة عقلية أو جسمية تحاول أن تجد لنفسها ما تشتغل به ، فتلقى بغيتها فى تصوير الأحلام التى قد تعتدل وقد تشتط ، ولكنها فى الغالب ترتكن على أجزاء ملموسة أو محسوسة أو موجودة ! . .

وبعد أحلام اليقظة تأتى أحلام النوم . فالإنسان أثناء النوم لا يفقد شعوره أو تفكيره نهائيا ، ولذلك يحلم فى نومه كما يحلم فى يقظته ، ومع ما فى أحلام النوم من انعتاق من القيود ، وانطلاق مع الآمال ، لا تنقطع صلتها بالواقع المحسوس ، وتظل الثقافة الشخصية والبيئة الاجتماعية ، والصور التى شاهدها الإنسان فى حياته الواعية اليقظة مدادا وسندا لأحلامه وأوهامه ! .

هذه نظرية من نظريات « علم النفس » يحسبها الكثير ابتكارا حديثا جديداً ، ولكن ماذا تقول حينما تعلم أن حجة الإسلام الإمام الغزالى المتوفى (سنة ٥٠٥هـ) قد نص عليها فى عبارة له بالجزء الرابع من كتابه (الإحياء) حينما يتحدث عن أن الميت يحضره حين موته ما عمله فى دنياه من طاعات وسيئات ، فيذكر كل ذلك ثم يقول: « ونعرف هذا بمثال ، وهو أنه لا يخفى عليك أن الإنسان يرى فى منامه جملة من الأحوال التى عهدها طول عمره ، حتى إنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته فى اليقظة ، وحتى إن المراهق الذى يحتلم لا يرى صورة الوقاع إذا لم يكن قد واقع فى اليقظة ، ولو بقى كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى أن الذى قضى عمره فى الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره فى التجارة ، والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لأنه إنما يظهر فى حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الإلف أو بسبب آخر من الأسباب » .

أرأيت ؟ هذا مثال واحد من بين مئات الأمثلة التى تستطيع أن تجدها فى آثار قومك الأولين أيها العربى المعاصر لو أنك بحثت فيها ونقبت ودققت . وإنك لواجد فى كتب الأدب والتاريخ والاجتماع التى تزخر بها المكتبة العربية أصولا لهذه النظريات المستحدثة ، ولكن هذا الأصول ينقصها التجلية والترتيب وحسن العرض فهل آن الأوان لإخراج تلك الكنوز من تلك القبور ؟

أحمد الشرباصى

المدرس بمعهد الزقازيق الثانوى

جاء بدوى وأخبر رئيس قبيلة عن نقود سرقت منه ، فقام الرئيس وجمع كل من تدور حولهم شبهة السرقة ، وأعطى كل واحد منهم عصا على أن يأتوه غداً ومن طالت عصاه أربعة أصابع فهو السارق .

ولما انصرفوا قص السارق من عصاه أربعة أصابع حتى تأخذ فى الغد مستواها من عصا إخوانه!..

بعثة الى امريكا

٢ - العودة إلى الكويت

انتهى عامنا الدراسى الأول فى جامعة نيويورك بنجاحنا فى الامتحان وحلت العطلة الصيفية التى كنت انتظرها بفارغ الصبر ، لاصطاف على سواحل الدمنة ، فأخبرت صديقى بما عزمت عليه فأبدى صديق الأمريكى رغبته فى زيارة الكويت ،فحبذت فكرته وشجعته ، على حين فضل زميلنا الكويتى البقاء فى أمريكا لأنه من المعجبين بهوليود وفى طريقنا إلى الوطن هبطت بنا الطائرة فى القاهرة فانتهزت الفرصة وأسرعت مع صاحبى إلى بيت الكويت لزيارة الزملاء القدماء ، وتجولت مع رفيقى فى البيت لأرى ماطرأ عليه من تغيير وتبديل ، فسرنى أن وجدت نادى البيت - وهو المكان المفضل عند الطلبة ليقضوا به فترة الراحة من عنـــاء الدروس — كامل الأثاث والمعدات وبه كل وسائل التسلية والرياضة وقد جلس به الطلبة بكل هدوء وسكون حول الراديو يستمعون إلى أخبار العالم ، ثم نزلنا إلى الحديقة فسر صاحبى لمرأى ملعب كرة السلة لأنها لعبة محببة إليه ، فسألنى كيف يقضى طلبة البيت أوقات فراغهم فقلت له : يوجد فى البيت مكتبة عامرة بالكتب وبعض الألعاب الرياضية كـــكرة السلة والكرة الطائرة وتنس الطاولة والمصارعة ، ويكفى دليلا على شدة اهتمام الطلبة بالرياضة أنهم يخصون الألعاب فى البيت بقسم كبير من مرتبهم الشهرى .. ويفضلون بنوع خاص لعبتى المصارعة والملاكمة الحرتين ، .. وتحت ظلال شجر الحديقة جلس بعض الطلبة فى حلقة يتسامرون ، ورأينا عثمان النوبى مقبلا نحوهم وهو يحمل أقداح الشاى فظن صاحبى أنه أحد الطلبة النشطين يوزع الشاى على الرفاق ، لأن الطلبة كانوا يرتدون الدشاديش لحرارة الجو ذلك اليوم ، فالتفت إلى صديقى وقال : لم تخبرنى عن استخراج الفحم الحجرى فى بلادكم . فدهشت لسؤاله الغريب وقلت : لاأعـــلم أن الفحم قد استخرج للآن ، فقال : إذن أى معدن يمثل هذا الطالب النشيط ، وأشار إلى عثمان ، وقد كنت أخبرت صديقى من قبل عن وجود مقصف فى البيت يديره الطلبة أنفسهم ..

فقلت له : لقد خانك الذكاء فحسبت أن هؤلاء الطلبة بعثة معادن فى حين أنهم بعثات الكويت وليسوا بعثات الشركة كما تبادر إلى ذهنك ،فاحمر وجهه خجلا وقال : لم لم تخبرنى من الأول أنى بين نخبة من طلاب الكويت وذكاء ثقافة وتهذيباً فقلت له : مع احترامى لذكائك كيف استنتجت ذلك؟ قال : وهل هذا الاستنتاج يستعصى إدراكه ؟ فالصفتين الأوليين لابد من وجودهما لاجتياز امتحـان البعثات ، وأما الثالثة فهى بديهية لأن الطالب المبعوث ماهو إلا عنوان بلاده فى الخارج

وعندئذ أقبل أحد الطلبة نحونا وطلب منى أن أخبر أهله عند ما أصل الكويت بأنه سيسافر بعد يومين .. قلت لصاحبى إن هذا الطالب سيلحق بنا بعد يومين ، قال وبقية التلاميذ متى يسافرون ؟ قلت : لم يسمح لهم بالسفر بعد قال : وكيف سمح لهذا ، قلت : إنه من الطلبة الذين على نفقتهم الخاصة . فبدت علامات الاستغراب على وجهه وقال وما معنى الذين على نفقتهم الخاصة ؟ قلت يجب أن تعرف أن فى هذا البيت طلبة أوفدتهم المعارف على حسابها وطلبة حضروا للدراسة على نفقتهم الخاصة وهم من القادرين على تحمل المصاريف وهذا نظام وضعته معارفنا لتفسح مجال العلم أمام أكبر عدد ممكن من الكويتيين ، قال : نعم النظام نظامكم ، ولو لم تكن لمعارفكم إلا هذه الحسنة لكفاها فخراً .. ولكن خبرنى ، إذا أوقع سوء الحظ أحد الطلبة الأذكياء تحت ولاية أب جاهل أو بخيل ، أو على الأقل قادر على احتمال نصف المصروفات ، هل تتركون هذا الذكاء يذهب ضحية الجهل والبخل ؟ فأجبته : إن كان الأب جاهلا لايقدر العلم ، فانا نعلم الابن ولو رغم أنف أبيه ، وأما البخيل فغير موجود فى الكويت والحمد لله ..

وأما الثالثة ففى غاية الوضوح ، ألا ترى معارفنا ترسل الطلبة بكامل المصاريف فكيف تمتنع عن المساعدة بنصف النفقة ؟.. قال : قانونكم محكم ، ولكن كيف تختارون البعثات ؟. قلت إن لنا قدرة الفراسة وبواسطتها نعرف الصالح من المبعوثين من غيرهم ، قال هب أن فراستكم أخطأها التوفيق فى العمل ؟. قلت إن أخطأ الاختيار التوفيق ، فالحمد لله على قرب الطريق !. قال وهل هذا الطريق معبد ؟ فنظرت إلى ساعتى وقلت : هيا بنا لنراه فقد أزف

(البقية أسفل ص ١٦)